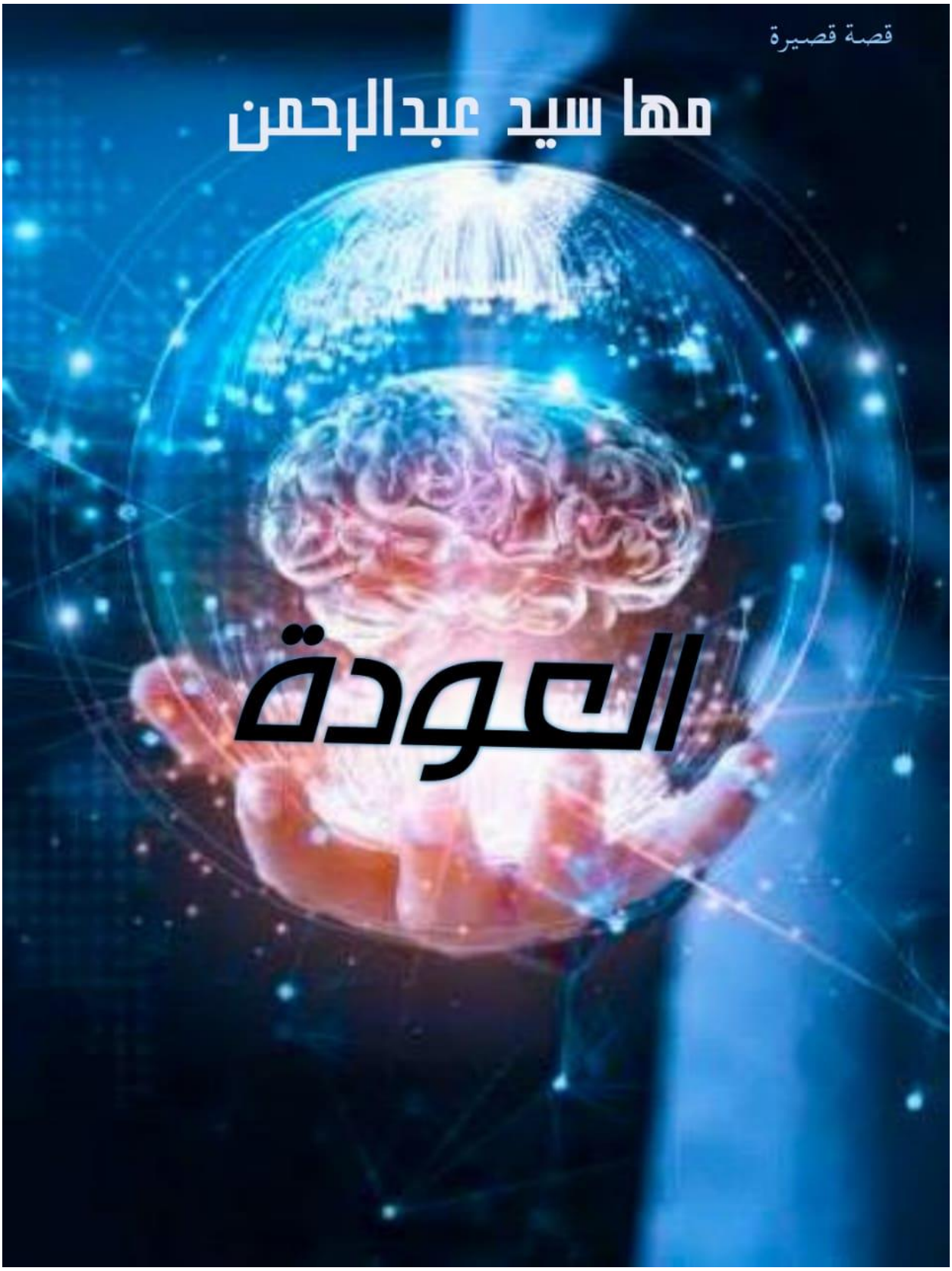

قصة قصيرة

مها سيد عبدالرحمن

العودة

الفصل الأول

فتح عينيه ببطء وظل شارداً لثواني ينظر في سقف الغرفة وهو يعتصر عقله ليتذكر أين هو؟! لكن عقله أبى أن يجيبه! استدار نحو اليمين يتأمل ذلك الأنبوب الرفيع المتصل بذراعه الأيمن، ثم تعالت ضربات قلبه حينما أدرك أنه يرقد على سرير مستشفى!

اعتدل جالساً وجعل يصيح بكل ما أوتي من قوة:

-"أين الطبيب؟! ما الذي جاء بي إلى هنا؟! ماذا أصابني؟! أنا لا أذكر شيئاً !"

كررها مراتٍ عده دون مجيب! شعر بالدماء تنفجر في عروقه من فرط الانفعال فقرر النهوض ليعرف بنفسه ما الذي يجري؟! أمسك بالأنبوب المتصل بيده وسحبه في عنف ثم انطلق راكضاً نحو باب الغرفة وفتحه وهو يصرخ في غضب هادر:

-"أين أنتم؟ ألا تسمعون؟"

تجمد في مكانه لوهلة حينما لاحظ عدم وجود أي أحدٍ بالخارج، ثمَّ سار في بطء بين ممرات المستشفى يتلفت حوله يميناً ويساراً باحثاً عن أي أحد غيره بالمكان، لكنه لم يعثر على أي أثر لوجود أحدٍ سواه!

أثار الصمت المطبق الذي يسيطر على المكان مزيجاً من الخوف والريبة في قلبه، فاتجه نحو إحدى غرف المرضى وفتحها في تردد ليجدها خالية!

سارع نحو الغرفة المجاورة ثم التي تليها فلم يعثر على أحد، ظل يفتح الغرف تباعاً وهو يجاهد عقله ليجد تفسيراً منطقياً لما يحدث حتى انتهى من غرف الطابق بأكملها، فغمغم في قلق:

-"ماذا يعني هذا؟!"

ثم انطلق راكضاً نحو الطابق السفلي وقد تضاعفت حالة الذهول التي تعتريه حينما أصبح على يقين بأنه وحده في المستشفى بأكملها!

انطلق نحو باب الخروج مغادراً المستشفى، وظل يسير في الشوارع بغير هدى يعتصر كل خليةٍ من خلايا مخه الرمادي ليتذكر كيف وصل إليها؟ وكيف يعقل ألا يكون هناك أحد فيها سواه؟!

انتزعه من تفكيره العميق تلك الحقيقة المريبة التي لم ينتبه لها منذ خروجه من المستشفى، أنه لم يصادف أي شخصٍ يسير في الشارع حتى الآن!

تلفت حوله وقد تضاعفت الحيرة بداخله ونجحت تلك الفكرة المفزعة في السيطرة على عقله: " ليس هناك أحد سواه في الشارع بأسره!" صرخ في جنون

-"ماذا يجري؟؟!"

ظل يركض كالمجنون وسط شوارع خالية بالكامل، لا سيارات ولا مارة ولا أي شكلٍ من أشكال الحياة، سكون عجيب يحكم قبضته على كل شيء! تابع الركض متنقلاً من شارع إلى آخر بلا جدوى، حتى أنهكه التعب فوقف يلتقط أنفاسه، رأى محل بقالة على الجانب الآخر من الشارع فعبر إليه ودخله باحثاً عن ماءٍ يشربه بعد أن أضناه العطش، تعجب حينما وجد جميع أضواء المحل مضاءة وهو مملوء عن آخره بأصناف المأكولات والمشروبات، بل ويوجد قسم كامل للمأكولات الطازجة! أسرع ممسكاً بطبقٍ مغلف من المخبوزات وقرأ التاريخ المدَوَّن عليه، فاتسعت عيناه عن آخرهما وشهق في فزع وهو يردد بصوتٍ مرتفع:

-"التاسع والعشرون من أغسطس عام 2024!!!!!"

فقد السيطرة على أعصابه وانتابته حاله من الهلع قبل أن ينفجر باكياً معلناً عجزه التام عن فهم ما يحدث! ثم توقف عن البكاء حينما خطرت بباله فكرة لا يعلم لماذا لم يفعلها من قبل؟! فتش في جيوب بنطاله فوجد محفظة نقوده وبجوارها هاتفه المحمول، تهللت أساريره حينما وجده يعمل جيداً سارع بطلب والدته، اتسعت ابتسامته حينما سمع صوت رنين الهاتف، لكنها ما لبثت أن تلاشت عندما انتهى الاتصال دون أن يتلقى إجابه!

تابع المحاولة واتصل بأخيه مراد لكنه لم يجبه هو الآخر! تسارعت أنفاسه من فرط التوتر وقد زاد إصراره في العثور على إجابة لتساؤلاته، فاتصل بخطيبته فريدة !لكنها لم تجب هي الأخرى، تابع اتصاله بكل من يعرفه لكن بلا فائدة فلا أحد يجيب استسلم في النهاية وقد بدأ يشعر بدوارٍ شديد فقرر تناول بعض الطعام خشية أن يسقط مغشياً عليه، فاتجه نحو قسم المأكولات وظل يأكل كل ما تشتهيه نفسه، ارتسمت على شفتيه شبح ابتسامه باهته ممزوجة بالمرارة مع تلك الميزة التي أدركها للتو، فهو لأول مرةٍ يأكل ما يشاء دون أن يطالبه أحد بدفع ثمن ما أكله، وبعد أن شبع تماماً اتجه نحو قسم المشروبات وتناول زجاجة مياه، بعدها سار باتجاه مقعد الكاشير المجاور لباب البقالة وجلس عليه، ثم فتح الأدراج ليجدها مملوءة بالنقود، أمسك ببعضها في دهشة حينما وجدها بلاستيكية تختلف كثيراً عن تلك النقود الورقية التي اعتاد استخدامها ولايزال البعض منها موجوداً في محفظته، أطلق زفرةً حارة ثم غمغم مخاطباً نفسه في أسف:

-" وماذا بعد؟! أنا لا أفهم شيئاً! آخر ما أتذكره أني كنت أعمل محاسباً في أحد البنوك عام 2021 وأعيش مع أمي وأخي وأحضر لإتمام زواجي من فريدة في غضون أسابيع قلائل! فما الذي حدث؟ كيف وصلت إلى عام 2024؟ ولماذا أنا

وحدي هكذا؟ هل انقرض البشر؟ وإن كان ذلك ما حدث فمن حضَّر تلك الأطعمة الطازجة ووضعها هنا؟! سأفقد عقلي"
قالها وهو يمسك رأسه بكلتا يديه في قوة متمنياً أن يتمكن من اختراقها وانتزاع الإجابات الهاربة منه بداخلها!
كاد قلبه يتوقف حينما سمع صوت رسالة استقبلها هاتفه للتو، أخرج الهاتف من جيبه وسارع بفتحها ليجدها من فريدة! أرسلتها عبر شبكة الانترنت عبر أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي، فسارع بقراءتها:
-"أين أنت يا أمير؟ لماذا تركتني وحدي هكذا كل تلك المدة؟! لازلتُ حتى الآن غير قادرةٍ على تصديق ما فعلته بي! كيف تجرأت على كسر قلبي وتضييع فرحتي بكل تلك القسوة؟ لن أسامحك ما حييت!"
اغرورقت عيناه بالدموع وبحركة تلقائية ضغط على زر الاتصال الموجود بجوار اسمها، تجمدت الدماء في عروقه حينما وصل صوتها المرتجف إلى مسامعه وهي تقول في لوعه:
-"أمير؟! هل هذا أنت حقاً؟ أيعقل هذا؟"
ازدرد ريقه في صعوبة وقبل أن يجيب ضغط زر طلب فتح الكاميرا، لم يصدق عينيه حينما وجد صورتها أمامه تضع يدها على فمها من المفاجأة وهي تبكي في ذهول، أجابها بصوتٍ يكاد يخرج من حلقه:
-"فريدة! ما الذي حدث؟! أنا لا أذكر شيئاً ولا أعلم أين أنا؟"
:ثم سالت دمعه حاره من عينيه قبل أن يستطرد:
-" ولم أفكر يوماً في التخلي عنكِ"
صاحت في انفعال والدموع تنهمر على وجنتيها:
-"كيف تجرؤ على قول هذا؟ ثلاث سنوات! تركتني لثلاث سنواتٍ كاملة أعاني "-مرارة فقدك! أعاتبك كل ليلة، أتوسل إليك لتعود، لقد دمرت حياتي! لم أعد قادرة على مواجهة الحياة بعد ما فعلته بي ولا حتى على نسيانك"
ثم أجهشت بالبكاء، شعر أمير بالدوار يزيد بشكلٍ ملحوظ مع وقع كلماتها القاسية على قلبه وعجزه التام عن فهم ما يجري، حاول أن يتماسك أعصابه وتابع حديثه معها في هدوء قائلاً:
-"فريدة اهدأي أرجوكِ، أنا في حاجةٍ ماسه لمساعدتك وأعدك أنني سأصلح كل ما أفسدُته، سآتي إلى المطعم المجاور لمنزلك لنتحدث قليلاً"
كانت فريدة لاتزال في نوبة بكائها الشديد، فأغلق أمير الهاتف وانطلق راكضاً نحو منزلها، لكنه كان يبعد عنه كثيراً ولا تزال جميع الطرقات خالية لا وسائل

مواصلات ولا سيارات، تلفت حوله فوجد معرضاً للسيارات في أول الشارع دخله وبالطبع كان خالياً هو الآخر، لم يشغل باله بالتفكير كثيراً واستقل إحدى السيارات التي كان مفتاحها بداخلها وانطلق في طريقه نحو المطعم المجاور لمنزل فريدة، والذي اعتادا اللقاء فيه، دخل المطعم فوجده خالياً، كل الأضواء مضاءة لكنه فارغٌ تماماً! لا أثر لوجود أي شخصٍ بالمكان، أمسك الهاتف واتصل بفريدة فلم تجبه، فتح أحد تطبيقات الاتصال عبر الانترنت واتصل بها فأجابته على الفور، قال في انفعال:

-"لماذا لم تنزلي حتى الآن! هيا أسرعي أنا في المطعم بانتظارك"

ثم اتسعت عيناه في ذهول وهو يحدق في كاميرا هاتفها التي تُظهر جلوسها بداخل المطعم المزدحم للغاية يعج بأصوات الزبائن وحركة العاملين!

أعاد النظر نحو قاعة الطعام الخالية تماماً أمام عينيه وشعر بقدميه لم تعد قادرةً على حمله فتهاوى جسده على أقرب كرسي، ثم انتزعه من ذهوله صوت فريدة القادم من هاتفه تقول في حسرة:

-"كنتُ أعلم أنك لن تأتي!"

هدر في انفعال:

-"ماذا تقولين؟؟! أنا هنا بداخل المطعم لكنى لا أرى ولا أسمع صوت أحد بالمكان! بل بالمدينة كلها! أسير في طرقات خالية منذ ساعات! أنا لا أفهم شيئاً!"

أتاه صوتها الحزين تجيبه في مرارة:

-"أنت لم تعد هنا يا أمير! لم تعد في عالمنا!"

الفصل الثاني

استجمع أمير قواه في صعوبة بالغة بعد أن نزلت كلمات فريدة كالصاعقة على مسامعه بقولها أنه لم يعد في عالمهم؟! ودارت عشرات الأسئلة في عقله خلال ثوان، ثم خرج صوته ضعيفاً حائراً يسألها:

-"إذن أين أنا؟ وكيف وصلت إلى هنا؟! وكيف السبيل للعودة؟!"

أجابته في ألم:

-"لا أحد غيرك يعلم إجابات تلك الأسئلة يا أمير! أنت وحدك تعلم كيف حدث لك ذلك وأنت أيضاً من يتوجب عليه معرفة الطريق للعودة!"

ثم سكتت قليلاً قبل أن تستطرد:

-"ولا أظن أن هناك سبيلٌ لذلك!"

ثم أنهت المكالمة لتتركه وحده يصارع حالة من الذعر عاجز عن استيعاب حرف واحد مما سمعه للتو!

أعاد الاتصال بها ثانيةً لكنها لم تجبه هذه المرة، ظل يحاول مراراً بلا جدوى، ثم خطر بباله أن يتصل بأخيه مراد عبر شبكة الانترنت وقد أدرك أنها الوسيلة الوحيدة للاتصال التي تعمل، رن الهاتف قليلاً، قبل أن يأتيه صوت مراد المنفعل:

-"أمير؟! هذا أنت؟!!"

حدَّق أمير في وجه مراد المُلتاع عبر كاميرا هاتفه وقال له في توسل:
-"ساعدني يا مراد أرجوك أنا أكاد أُجَنّ! أصبحت سجيناً هنا وحدي لا أعلم كيف السبيل للعودة؟!"
صمت مراد لبرهة ثم قال في جدية:

-"أنا أنتظر اتصالك هذا يا أمير منذ ثلاث سنوات، لم ينقطع الأمل بداخلي ولو لثواني، بذلت قصارى جهدي لإيجاد طريقة تعيدك إلى عالمنا، لكن مع الأسف لم أتمكن من ذلك حتى الآن"

زادت كلماته من شعور الخوف الذي أصبح يسري في كل ذرةٍ في كيان أمير وهو يسأله في يأس:

-"ماذا تعني؟ وكيف مرت تلك السنوات الثلاث؟! أين كنتُ طيلة تلك الفترة؟!أنا لا أذكر شيئاً على الإطلاق!"

تنهد مراد في مرارة قبل أن يجيبه قائلاً:

-" أنت وحدك تملك إجابة تلك الأسئلة يا أمير، لكن كل ما أريده منك الآن أن تهدأ قليلاً، حتى تعطي عقلك الفرصة لتذكر ما حدث ثم لإيجاد الحل، فالسبيل للعودة عندك في عالمك أنت وليس في عالمنا!"

وضع أمير كلتا يديه على رأسه في حيرة وقال منفعلاً:

-"يا إلهي ساعدني أنا لا أفهم شيئاً!"

تابع مراد حديثه قائلاً:

-"اهدأ يا أمير، فهذا الاتصال بيني وبينك الآن هو معجزة حقيقية لازلت غير قادر على تصديقها، حاولت مراراً الاتصال بك منذ اختفاؤك لكن دون جدوى، يجب أن تفرح لنجاحك في إيجاد وسيلة اتصال بين عالمك وعالمنا الآن، لا تشغل نفسك بإيجاد تفسير لما حدث سابقاً فستعرف كل شيءٍ حينما يحين الوقت لذلك، ركز تفكيرك كله في فهم طبيعة عالمك الذي تعيش فيه الآن، ومعرفة إن كان هناك أي أشياءٍ أخرى تربط عالمينا ببعضهما، فتلك ستكون أول خطوة على طريق عودتك!"

ثم انتهى الاتصال بشكلٍ مفاجئ، لم يُعيد أمير الاتصال بمراد ثانيةً، وخرج من المطعم يجرُّ قدميه جراً ثم استقل سيارته واتجه نحو منزله.

وصل إلى منزله بعد دقائق قلائل فالطرقات خالية وهو يقود سيارته بسرعتها القصوى وكأنه يتمنى أن يصطدم بشيءٍ ينهي حياته ويخلصه من تلك الحيرة التي تكاد تقضي على ما تبقى من عقله.

دخل منزله يتلفت حوله في حذر، لا يدري سبب ذلك الشعور بالقلق الذي انتابه فور دخوله، سار ببطء نحو غرفة والدته وفتح الباب في هدوء ليجدها خالية، بالرغم من علمه المسبق بذلك إلا أنه كان يتمنى أن يجدها بالداخل ويلقي بنفسه بين ذراعيها

لتضمه في حنانٍ كعادتها، سالت من عينه دمعة حارة مسحها بيده ثم اتجه نحو غرفته وألقى بجسده على سريره مستسلماً للنوم الذي لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة ليغرق فيه!

****

استيقظ متعجباً من تلك الأحلام المتداخلة التي ظل يحلم بها طوال فترة نومه لكنه لم يعد يذكر منها شيئاً، تنبهت حواسه لرائحة الطعام التي تجتاح غرفته في إصرار فتهللت أساريره وصاح قائلاً:
-"طاجن اللحم الذي أحبه!"

ثم انطلق راكضاً نحو المطبخ وهو يتخيل رؤية والدته تقف بجوار الموقد تعد الطعام، لكنه توقف في حسرة حينما وجده فارغاً!

همَّ بالعودة إلى غرفته لكنه تجمد في مكانه واتسعت عيناه عندما تنبَّه لشيءٍ في غاية الأهمية، الرائحة! تذكر كلمات مراد له بضرورة إيجاد روابط بين العالمين، ثم صاح في انفعال:

-"الرائحة! أعتقد انها أول رابط اعثر عليه!"

ثم أسرع نحو غرفته وأمسك بهاتفه المحمول وسارع بالاتصال بمراد الذي أجابه على الفور قائلاً:

-" حمداً لله أنك بخير، لقد خِفتُ كثيراً أن أفقدك ثانيةً، أين كنت طوال اليومين الماضيين؟؟"

ارتفع حاجبي أمير في ذهول ونظر إليه متعجباً قبل أن يقول:

-"عن أيُّ يومين تتحدث؟! لقد نمت بضع ساعاتٍ فقط!"

ثم نظر في التاريخ المدون على شاشة هاتفه فشهق في ذهول حينما وجده الأول من سبتمبر لعام 2024، استغرق في تفكيرٍ عميق لوهلة قبل أن يتابع حديثه مع مراد قائلاً:

-"دعك من هذا الآن! ما يحدث معي أكبر بكثير من أن أتوقف لأفكر في أمرٍ كهذا! أريد أن أسألك عن شيء هام، هل تُعد أمي طاجن لحمٍ الآن؟!"
اتسعت عينا مراد وقال في تعجب:

-"نعم! كيف عرفت ذلك؟!"

ابتسم أمير وأجابه:

-"الرائحة! هي النقطة المشتركة الأولى بين عالمينا التي عثرتُ عليها!"

-"رائع يا أمير! هذا تقدم لا بأس به، تابع التفكير في كل ما يجري من حولك وأنا سأظل أساعدك حتى نصل إلى طريقة تعيدك إلينا"

سرت في جسد أمير قشعريرة بارده مع تلك البقعة السوداء التي وقعت عيناه عليها في وسط أرض الغرفة، كانت صغيرة في حجم كف اليد لكنها حالكة السواد بشكل مخيف ولافت للنظر على حدٍّ سواء، لم يشأ أن يلاحظ مراد ارتباكه فأنهى اتصاله معه واتجه نحوها بخطواتٍ مرتجفة، وضع يده عليها يتحسَّسُها وهو يدقق النظر بداخلها في حذر، ثم سحب يده مسرعاً وهو يصرخ في فزع حينما سقطت بداخلها وشعر بقوة تجذبها نحو الأسفل ليدرك أنها فراغ سحيق! وكأن جزء من أرض الغرفة قد اختفى من الوجود تماماً!

اعتصر عقله في قوة ليتذكر إن كان قد رآها حين دخوله غرفته قبل يومين، لكنه لم يستطع تذكر شيء فقد كان منهكاً من شدة التعب وألقى بجسده على سريره فور دخوله.

أخذ مفاتيح سيارته ونزل مغادراً منزله قبل أن يصاب بالجنون، ظل يقود سيارته بلا هدى، ثم أوقفها فجأة وأخرج هاتفه ليتصل بفريدة لكنها لم تجبه، كرر المحاولة مراراً دون فائدة فاشتعل الغضب في كيانه وقرر الاتصال بصديقتها المقربة وتلميذة أخيه مراد النجيبة "أسيل" والتي كانت السبب الرئيسي في التعارف بينه وبين فريدة، اتصل بها ليفهم منها لماذا لا تجيب فريدة على اتصالاته؟! أجابته أسيل في مزيجٍ من اللهفة والذهول:

-"أمير هذا حقاً أنت؟! لم أصدق مراد حينما أخبرني باتصالك به"

سألها أمير في ضيق:

-" لماذا لا تجيب فريدة على اتصالاتي بها؟! "

بدا الارتباك جلياً على وجهها وأجابته في تلعثم:

-"لا أعرف؟"

حدق فيها أمير قبل أن يقول في حزم:
-"ماذا تخفين يا أسيل؟"

احمر وجهها وزاد ارتباكها أضعافاً وهي تجيبه:

-"اعذرني يا أمير لا أستطيع إجابة سؤالك، يمكنك سؤال مراد إن شئت، لكن أنا أرجوك أن تجعل جُلَّ تركيزك الآن في أن تعود إلينا وبعدها سيكون لكل حادث حديث"

ثم أنهت المكالمة بسرعة حتى لا تعطيه الفرصة لطرح سؤالٍ جديد، تعالت ضربات قلبه في عنف وقد شعر بأن شيئاً لا يريحه على الإطلاق يحدث بشأن فريدة، بدأ الدوار يعصف بعقله مجدداً وهو يقاومه باستماته لكنه فشل في السيطرة عليه هذه المرة فسقط مغشياً عليه.....

****

خطواتٍ سريعة مرتبكة تنم عن شيء مقلق على وشك الحدوث، عشرات الهمهمات تملأ المكان وأرقام تتراص في سرعة مذهله على شاشات الحواسيب التي تملأ الغرفة، ومراد يدخل الغرفة راكضاً حتى توقف أمام دكتور نائل يتفرس ملامحه في قلقٍ بالغ وهو يقول:

-" ما الذي يجري؟!"

أجابه دكتور نائل في عصبيه:

-"حذرتك منذ البداية أن ما تفعله قد يودي بحياته لكنك أصريت على الاستمرار! يبدو أننا نفقده!!!!!"

الفصل الثالث

فتح أمير عينيه يقاوم في عناد ذلك الدوار الذي لا يزال يعصف برأسه، وجد نفسه بداخل سيارته، فأخذ يبحث عن هاتفه حتى وجده ملقى على الأرض بجوار قدمه، أمسك به مسرعاً ينظر إلى التاريخ، فغر فاه حينما وجده الخامس من سبتمبر 2024!

انطلقت من حلقه صرخةً مجلجلة وهو يضرب مقود سيارته بيده، بعدها أدار المحرك في عصبية وقرر أن ينطلق في جولة بين أرجاء المدينة الخالية من كل أشكال الحياة، ثم توقف بجوار إحدى الحدائق ونزل ليتمشى قليلاً، وأثناء سيره وهو غارقٌ في تفكيرٍ عميق يعتصر عقله ليجد إجابة لعشرات الأسئلة التي تدور فيه بلا توقف، رفع عينيه إلى السماء فتراجع في هلع حينما رأى بقعة سوداء صغيرة تتوسط زرقتها الممتدة، استقل سيارته عائداً إلى منزله يصارع خلجات القلق التي تنقر صدره.

دلف مسرعاً نحو غرفته ينظر في البقعة السوداء على أرضها، وكما توقع تماماً! لقد تضاعف حجمها بشكلٍ ملحوظ، لم يتردد لحظةً في الاتصال بمراد في الحال الذي أجابه بعينين دامعتين ترجفان في توتر:

-"عزيزي أمير! هل أنت بخير؟"

رد بصوت جامد خالٍ من أي انفعال:

-"لم أعد أعرف معنى تلك الكلمة يا مراد أنا تائه كلياً! لازلت غير قادر على فهم أو تذكر أي شيء، ولا اعرف ما الذي يتوجب علي فعله لأتخلص من هذا الكابوس الذي أعيشه؟!"

أجابه مراد في جدية بالغة:

-"اسمعني جيداً يا أمير! ذلك العالم الذي توجد فيه الآن غير مستقر على الإطلاق! يجب أن تخرج منه في أسرع وقت لذا أريدك أن تستجمع قواك وتخبرني بأدق التفاصيل، ما يحدث معك الآن ما تراه وما تشعر به كل شيء"

هزَّ أمير رأسه موافقاً ثم ضيق حدقة عينه وهو ينظر إلى صورة مراد الموجودة أمامه على شاشة هاتفه وقال في استنكار:

-" سأخبرك بكل شيء ولكن أولاً أريد أن أعرف ما الذي تخفيه عني بشأن فريدة؟!"

صاح مراد في عصبية قائلاً:
-"فريدة؟؟ هل حقاً تسألني عن فريدة بعد كل ما قلته لك منذ دقائق معدودة؟ لن أجيبك يا أمير لن أضيع ثانيةً واحدة في الحديث عنها ولا يجب عليك أنت أيضاً أن تضيع وقتك في التفكير فيها، أنت في خطر حقيقي ألم تفهم بعد؟!"

غَضّن أمير حاجبيه وقد أثارت كلمات مراد عاصفةً من التساؤلات في ذهنه فقال مستفهماً:

-"ماذا تعني بلم أفهم بعد؟؟ ما الذي تعرفه وتخفيه عني يا مرد؟!"

بدا الارتباك جلياً على وجه مراد رغم محاولاته الجادة في اخفائه، ثم أخذ نفساً عميقاً وازدرد ريقه قبل أن يجيبه في هدوء:

-" أخبرني بكل ما تراه وتسمعه في عالمك وسأخبرك بكل شيء في الوقت المناسب"

لم يرق حديثه لأمير كثيراً لكنه استسلم لرغبته في النهاية وجعل يحكي له كل ما عاشه خلال الأيام الماضية بالتفصيل ومن البداية....

****

طلب مراد مقابلة دكتور نائل بشكل عاجل، فسمح له بذلك واستقبله في مكتبه في مزيجٍ من القلق والاهتمام، ثم قال في توتر وقد أثارت علامات الارتباك الواضحة على وجه مراد القلق في داخله:

-"ماذا هناك يا دكتور مراد؟ هل حدث شيء جديد؟!"

أجابه مراد في عجلة:

-" نعم يا دكتور نائل شيء خطير للغاية! لقد أخبرني أمير عن ظهور بقع سوداء بدأ ظهورها يتكرر في أماكن مختلفة"

شهق دكتور نائل في فزع وقد أدرك تماماً ما يشير إليه مراد!

****

مزيج من الحيرة والملل أصبح يسيطر على أمير وقد أرهقه التفكير في كل ما يجري، أمسك بهاتفه وقام بالاتصال بوالدته مراراً لكنها لم تجبه، فاتصل بفريدة لكنها لم تجبه هي الأخرى، زفر في ضيق ثم قرر الاتصال بأسيل، فأجابته في غضون دقيقة واحده، وقالت بابتسامتها المعهودة:

-"كيف حالك الآن يا أمير؟!"

مطَّ شفتيه في يأس وهو يجيبها قائلاً:

-"لا جديد! لازلت لا أفهم شيئاً وأشعر أن مراد يخفي عني الكثير! المهم الآن أريد أن أعرف ماذا يجري بشأن فريدة؟! لقد سألت مراد كما أخبرتني لكنه لم يجب، أريد أن أعرف الحقيقة الآن!"

نطق عبارته الأخيرة بإصرارٍ بالغ لم يُتِح لأسيل الفرصة لتتهرب من إجابته، فنظرت إليه في شفقه قبل أن تجيبه قائلةً:

-"أعلم أن ما تعيشه الآن هو أمر في غاية الصعوبة لذا لم أشأ أن أزيد من همك، لكنك مُصرٌّ أن تعرف الحقيقة، لذا سأخبرك لكن بشرط واحد! إياك أن تخبر مراد أني فعلت"

تعجب أمير من قولها لكنه قرر موافقتها حتى يعلم ما الذي يخفيانه عنه، فأجابها مسرعاً:

-"بالطبع لن أخبره شيئاً! فهو قد رفض الحديث عنها كلياً بالأساس!"

ازدردت أسيل ريقها في ارتباك ثم قالت:

-" لقد مرت ثلاث سنواتٍ كاملة يا أمير! عاشت فيها فريدة ظروفاً قاسية للغاية بعد اختفاؤك من حياتها، ومنذ فترة ظهر في حياتها شخصٌ آخر وهم على وشك الزواج قريباً!"

هوت كلماتها كالصاعقة على مسامعه، واختنقت الدموع في عينيه، وعجز عقله عن الاستيعاب فلم يستطع التعقيب على كلامها بحرفٍ واحد واكتفى بإنهاء المكالمة في الحال، ثم أطلق العنان لدموعه الحارة تنساب على وجهه في مرارة وقد تضاعفت الحيرة بداخله فإن كانت على وشك الزواج بشخصٍ آخر فما معنى تلك الرسالة التي أرسلتها له؟؟ ثم بدأ الدوار يجتاح رأسه ثانيةً، لكنه هذه المرة حسم أمره واتخذ قراره بإنهاء مُعاناته في الحال، فاتجه نحو المطبخ في إصرار وأمسك بسكينٍ كبيرة ونظر إلى معصمه قبل أن تنطلق من حلقه صرخة غاضبه هتكت سكون ذلك العالم المسجون بداخله سجناً انفرادياً، صرخةً تحمل كل الألم والمرارة التي تشتعل في أعماقه بلا رحمة، ثم هوى بالسكين على معصمه وقطع شريانه بلا تردد....

مضت عدة دقائق وهو يراقب الدماء تنسال من معصم يده بلا توقف، لكنه لا يشعر بشيءٍ مطلقاً، لا ألم ولا أي شيءٍ يذكر، ثم اتسعت عيناه في ذهول وهو يتابع دماءه التي تتلاشى وجرحه الذي يلتئم في سرعة وكأنه لم يحدث قط! أمسك بالسكين في عناد وغرسها في فخذه، فانفجرت الدماء أمام عينيه ثم ما لبثت أن تلاشت هي وكل أثرٍ للجرح في جسده خلال دقائق معدودة، هدر في جنون وقد فقد السيطرة على أعصابه كلياً:

-"ما الذي يعنيه هذا أيضاً؟؟ لا وسيلة للخلاص من تلك الحياة البائسة؟!"

خرج هارباً من منزله لا يعلم إلى أين؟! ثم استقل سيارته وقادها بأقصى سرعة متجهاً إلى خارج المدينة، صعد بها إلى سفح جبلٍ مرتفع لا يبعد كثيراً عن حدود المدينة، ثم توقف هُنيهة قبل أن يضغط دواسة البنزين بكل قوته لتنطلق السيارة بسرعتها القصوى وفي تلك اللحظة مرت بذهنه ومضة سريعة عن شيءٍ مشابه قد عاشه من قبل لكنه لم يمتلك الوقت الكافي لتذكر تفاصيله أو حتى تخيله فقد هوت به السيارة من فوق سفح الجبل لتتهشم تماماً ويتمزق جسده إرباً....

****

دخلت أسيل غرفة مكتب دكتور مراد على استحياء تقدم قدم وتجر الأخرى، بعد تلك الفعلة التي تعلم جيداً أنه لن يسامحها عليها، استقبلها مراد ببرودٍ كعادته وطلب منها الجلوس لتخبره بما تريد، فاستجابت لطلبه وجلست على الكرسي المقابل لمكتبه ثم أخبرته بما قالته لأمير في اتصاله الأخير بها، جُنَّ جنونه وصاح غاضباً:

-"هل تعلمين نتيجة فعلتك هذه؟؟ ستفسدين كل شيء! سيظل أمير يفكر في وسيلة ينهي بها حياته بدلاً من أن يفكر في طريقةٍ للعودة! وسيضيع ما تكبدناه من عناء على مدار السنوات الثلاث الماضية في إيجاد وسيلة لاستعادته وكل ذلك بسبب ثرثرتك الفارغة!"

اعتصرت كلماته قلب أسيل وهي أكثر من تتمنى عودته، لقد كانت تود أن ترضيه وتقلل من حيرته فحسب، أو أنها في قرارة نفسها كانت تتمنى أن يكره فريدة وينساها للأبد ولا يعود لها وجود في عقله وقلبه بعد اليوم، لكنها تعلم جيداً أنها أخطأت التوقيت! لا فرق الآن لقد حدث ما حدث وساء الوضع كثيراً، وستجني ثمار خطؤها مهما شعرت بالندم، أطلقت زفرة حارة في محاولةٍ يائسة لتخفف أطنان الألم الذي يجثم على قلبها قبل أن تتابع حديثها مع مراد بصوتٍ يكاد يخرج من حلقها:

-"لم تعد تلك هي المشكلة الآن!"

امتقع وجهه ورمقها بنظرةٍ بترت الكلمات على شفتيها قبل أن تستجمع قواها في صعوبة وتتابع حديثها قائلةً:

-"المؤشرات الحيوية لجسد أمير تتدهور بشكل سريع!"

قالتها وهي تحاول جاهدة اللحاق بمراد الذي انطلق راكضاً نحو الغرفة التي يرقد بها جسد أمير يصارع ألماً لا يشعر به أحد سواه.....

الفصل الرابع

أفاق أمير وهو يتأمل جسده الذي كان آخر ما يذكره هو رؤيته ممزق، لكنه يراه الآن في أحسن حال، اتسعت عيناه في دهشة واعتدل واقفاً وهو يتحسس ذراعيه ورأسه غير مصدق أنه لا زال حي بل وصحيح الجسد أيضاً، ثم قال في حماس وقد أدرك عقله أمراً في غاية الأهمية:

-"غير حقيقي! هذا العالم غير حقيقي لا أعرف كيف لكني على يقينٍ من ذلك!"

ثم سارع بالبحث عن هاتفه بين أشلاء سيارته المحطمة لكنه كان محطم هو الآخر، تجمد في مكانه عندما أدرك أنه سيسير لمسافة طويلة للغاية حتى يتمكن من العودة إلى المدينة، ضرب رأسه بيده وهو يصيح:

-"غبي!!"

أخذ يعتصر عقله للتفكير في حل قبل أن تتهلل أساريره ويقول مخاطباً نفسه بصوتٍ مرتفع:

-"إذا كان هذا العالم افتراضياً وأنا جزءٌ منه، فلابد إذاً من وجود وسيلة تمكنني من التحكم فيه على نحوٍ ما وتغيير أحداثه كما أشاء، ومن المنطقي أن تكون هذه الوسيلة هنا!"

قالها وهو يشير إلى رأسه بإبهامه، ثم أغمض عينيه وحاول التركيز بكل حواسه في تخيل عودته إلى غرفته، شعر بالدوار يجتاح عقله لكنه قاومه بضراوة متابعاً تخيل غرفته في إصرار حتى أصبح يراها في خياله بوضوحٍ تام وكأنه يقف بداخلها بالفعل، ثم بدأ يشعر بأنه يتحرك! فتح عينيه يتلفت حوله والتوتر يتملك كل ذرةٍ في كيانه، ثم ابتسم في ذهول حينما وجد نفسه بداخل غرفته حقاً!

صاح بنبرةٍ يملؤها الأمل:

-" لقد فعلتها! بدأت أفهم!"

ثم تراجع في فزع حينما وقعت عيناه على البقعة السوداء التي تتوسط أرض غرفته وقد تضاعف حجمها كثيراً أصبحت تكفي لتبتلع جسده بالكامل، قال في ذعر:

-"يبدو أنني قد غبت عن الوعي كثيراً هذه المرة!"

خطر بباله أن يحاول تخيل هاتفه في جيبه فهو بحاجةٍ ماسة للحديث مع مراد الآن، أغمض عينيه وقام باعتصار كل ذرة في عقله لفعل ذلك، لكنه فتحها فجأة وهو يشهق في هلع، فقد تذكر تلك الومضة التي جالت بخاطره قبيل سقوطه من فوق الجبل، لكن هذه المرة رآها بوضوحٍ كامل وكأنها فيلم مصور يُعرض خلف جفنيه المُغمضين بوضوحٍ تام، زاد إصراره على الحديث مع مراد فأغمض عينيه ثانية وشرع في تخيل هاتفه في جيبه حتى ظهرت صورته واضحةً بداخل عقله، مدَّ يده في ثقة يتحسس جيبه وابتسم حينما وجده بداخله، أخرجه في انفعال وسارع بطلب مراد الذي جاءه صوته وهو يصرخ في سعادةٍ بالغة:

-"حمداً لله، أنت بخير لقد عُدتَ ثانيةً!"

تعجب أمير من عبارته الغامضة ثم أسند هاتفه على الطاولة الصغيرة المجاورة لسريره وعقد ساعديه أمام صدره وهو يقول في حزم:

-"أعتقد أن الوقت قد حان لتخبرني بحقيقة ما حدث لي بعد الحادث!"

على غير المتوقع اتسعت ابتسامة مراد كثيراً وجعل يقهقه ضاحكاً فرحاً بتلك العبارة التي انتظر سماعها طويلاً، مما زاد حالة الدهشة التي تعتري أمير لكنه آثر الصمت حتى يُفرِغ مراد على مسامعه حقيقة ما يجري.....

****

-"قبل أسابيع قلائل من موعد زفافك أنت وفريدة، حدث بينكما شجار عنيف انتهى بقرار انفصالكما، هذا ما أخبرتنا به فريدة بعد الحادث، فبعد أن تركتها وغادرت، تعرضت لحادث سيارة قاتل نجوت منه بأعجوبة، لكنه تسبب في حدوث شللٍ في رجليك ودخولك في غيبوبة تامة، توقع الأطباء حينها ألا تستمر على قيد الحياة لأكثر من شهرٍ واحد فقط على أقصى تقدير، لكن إرادة الله كانت أقوى بكثير واستقرت حالتك بمعجزة حقيقية، لكنك استمريت تقبع في تلك الغيبوبة العميقة طيلة السنوات الثلاث المنصرمة، أثناء تلك الفترة حاول الأطباء شتى الطرق لإخراجك منها بلا جدوى، حتى كدنا نفقد الأمل في عودتك تماماً، ثم خطرت ببالي تلك الفكرة التي اعتبرها الكثيرون ضرباً من الجنون، لكنها في نظري كانت الأمل الوحيد!

تعلم جيداً مدى ولعي بالذكاء الاصطناعي ودراستي المتعمقة في تقنياته المختلفة، في عام 2020 ظهر ما يسمى ب "النيورالينك" أو واجهة الدماغ الحاسوبي وهي عبارة عن جهاز يقوم بقراءة الموجات الكهروكيميائية المتدفقة من نقاط التشابك العصبي وتحويلها إلى إشارات يستطيع الحاسب فهمها، بمعنى أبسط هي عبارة عن رقاقة دماغية لاسلكية مبتكرة يتم زرعها في الدماغ لترجمة الإشارات العصبية، وسيلة للدمج بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي الهدف الرئيسي منها هو ربط العقل البشري بالحاسوب، كان الهدف الرئيسي من ظهور تلك التقنية هو لأغراض طبية مثل التعامل مع تلف الدماغ وإصابات الحبل الشوكي وحالات الشلل، لكنها كانت مجرد نظريات وتجارب مبدئية لم تدخل حيز التنفيذ الفعلي بعد.

وكانت تلك هي النواة التي بنيت عليها كل ما فعلته أنا بعد ذلك، فقد كان هدفي الرئيسي هو اختراق دماغك والتأثير عليها عِوضاً عن محاولة قراءتها فقط كما تفعل واجهات الدماغ لانتزاعك من تلك الغيبوبة التي تحتجزك في إصرار.

وبعد عشرات الأبحاث والتجارب التي عكفت على دراستها وتنفيذها بمساعدة دكتور نائل عالم الأعصاب الشهير - والذي لا يزال حتى الآن يرى أنها غير كافية لتطبيقها وتحتاج للمزيد من التحليلات والدراسات-، وفريقي الخاص الذي تعد أسيل أحد أبرز أعضائه، فقد تَفَرَّغَت كُلياً وكرسَّت حياتها لإنجاح تلك التجارب، نجحنا أخيراً في رسم ذلك العالم الافتراضي الذي تعيش فيه أنت الآن بكل تفاصيله وبثه بداخل عقلك، وكانت الخطوة التالية هي تحفيز دماغك للتفاعل معه ومن ثم فتح وسيلة للاتصال بين عقلك وبيننا لكنها لا يمكن أن تبدأ سوى من داخل دماغك أنت!

كان كل شيءٍ مدروساً بدقة متناهية لإرسال العديد من الرسائل إليك تباعاً، التاريخ الذي قرأته، النقود التي رأيتها كل شيء يمكن أن يحفز دماغك للتفكير ومن ثم الاتصال بنا، وجعلنا وسيلة الاتصال هي هاتفك المحمول لأنه أول ما كان سيخطر ببالك فعله، لذلك انتظرنا طويلاً حتى يأتينا ذلك الاتصال من عندك والذي يتم استقباله على جهاز الحاسوب خاصتنا وترجمته ونقوم بدورنا بفتح اتصال حقيقي معك عبر الكاميرا تعيد برامجنا ترجمته ونقله إلى داخل دماغك، فقررت في البداية استفزازك بتلك الرسالة من فريدة، والتي نجحت بالفعل في تحفيز عقلك!"

قاطعه أمير في ألمٍ قائلاً:

-"هل تعني أنها لم تحدثني مطلقاً؟!"

أجابه مراد في أسف:

-"لا يا أمير لم تكن هي، فريدة على وشك الزواج من شخصٍ آخر قريباً! أنا فقط قمت بالاتصال بها وشرح ما نقدم على فعله لاستعادتك، ثم طلبتُ منها تسجيل مقطع فيديو صغير وارساله لي لاستخدام صوتها وصورتها في عمل محاكاة حين اتصالك بها، كنت أعلم أنها الأكثر تأثيراً على عقلك لذلك فضلتُ أن يكون اتصالك الأول معها، وقمنا بواسطة برامجنا من عمل تلك الصورة المزيفة التي رأيتها أثناء الاتصال، وعندما طلبتَ منها لقاؤك في المطعم أخذنا فيديو دعائي كان موجوداً على صفحة المطعم وركبنا صورتها بداخله، ثم قمت بالرد على أسألتك عبر رسائل نصية أقوم بكتابتها وارسالها إلى الرنامج ويقوم هو بتحويلها لصوتٍ مسموع ودمجها مع صورة فريدة التي تصل إليك، كنت أريد أن أوصل لك العديد من الرسائل عبر ذلك الحديث وأعتقد أني قد نجحتُ بالفعل.

لا أنكر أن فريدة قد انهارت كثيراً بعد الحادث الذي تعرَّضَت له، وعاشت أياماً صعبة، لكنها تابعت حياتها بعد ذلك وهو حقها تماماً كنتما قد انفصلتما بالأساس!"

سالت دمعة حارة على وجه أمير وعقب قائلاً في مرارة:

-" لا لم أفعل! وما كنت لأفعل أبداً! لقد كذَبَت عليكم! هي طلبت ذلك وأنا اعتبرتها كلمة غير حقيقية نطقت بها في وقت انفعال، ففضلت الانصراف حينها دون أن أنطق بحرف حتى أتركها لتهدأ ثم نتابع حديثنا لاحقاً، لكنني تأثرت كثيراً بطلبها ذلك لم أتوقع سماعه منها تحت أي ظرف، شعرت بالخذلان لتخليها عني حتى وإن كانت مجرد كلمة قيلت في ساعة غضب، قدت سيارتي مسرعاً وأنا أتمزق ألماً ولم أنتبه لتلك المقطورة التي ظهرت أمامي فجأة، بعدها فقدت الشعور بكل شيء من حولي!"

ارتفع حاجبي مراد في دهشه ممزوجة بالضيق والأسف لكنه أسرع بالقول:

-" على كلٍّ لم يعد الحديث في ذلك الموضوع مُجدي يا أمير فقد انتهى وعليك تقبل ذلك مهما كان صعباً! أريدك الآن أن تنتبه لما سأقوله لك فهناك أمر خطير يجب أن تعرفه!"

أخذ نفساً عميقاً وتابع في جديةٍ بالغة:

-" الدماغ لا يكشف أسراره بسهوله وهو يقاوم بضراوة محاولاتنا لاختراقه! تلك البقع السوداء التي تراها هي نتيجة لتغلب دماغك على اختراق برنامجي له"

اتسعت عينا أمير وقال متعجباً:

-"ماذا تعني؟!"

أستطرد مراد حديثه قائلاً:

-" لقد أحرزنا تقدماً ملحوظاً في اختراق عقلك وبث ما نشاء بداخله حتى الآن وهو أمر حديث لم يتم تجربته من قبل، وكانت النتائج في بداية الأمر مذهلة للغاية، لم أصدق أذناي حينما أخبرتني بشأن طاجن اللحم الذي تعده أمي، لقد كنت حينها أجلس بجوارك وآكل بالفعل لحم أعدته أمي، هذا يعني أن اتصالك بالعالم المحيط بك قد أحرز تقدماً مبهر وعادت حواسك للعمل والتفاعل بعد أن كنت في حالة عزلة تامة، لكن ذلك نتج عنه في المقابل مقاومة شرسة من عقلك لتدمير ذلك الاتصال الذي اعتبره اختراقٌ غير مسموح به، لذلك تنتابك نوبات الدوار الشديد والاغماء تلك لتقطع اتصالك بنا لأيام، والتي لا يسعنا أثناؤها سوى أن نحافظ على الوظائف الحيوية لجسدك حتى تعود إلينا، ومن المتوقع أن تزداد تلك الفترات مع مرور الوقت وتزداد معها البقع السوداء في العالم المحيط بك حتى ينهار تماماً وينجح عقلك في التغلب علينا وصد ذلك الاختراق إلى الأبد!"

سرت قشعريرة باردة في جسد أمير مع عبارة مراد الأخيرة وقد شعر بأن رتلاً من الهم سقط على منكبيه، ثم قال في خفوت:

-" وما الذي يتوجب علي فعله الآن؟ ولماذا أضعت الوقت إذاً ولم تخبرني منذ البداية قبل أن تسوء الأمور هكذا؟!"

-" لم يكن بوسعي فعل ذلك، كان يجب تحفيز عقلك وحواسك وذاكرتك تدريجياً حتى تستعيد سيطرتك عليها بنفسك، لتتمكن من الانتقال إلى المرحلة التالية لاستعادت وعيك، أي استعجال كان سيعرضك لصدمة قد تفسد كل شيء ويضيع كل ما فعلناه لاستعادتك سُدىً، ولا تنسى أننا نقوم بتلك التجربة للمرة الأولى! لا نضمن النتائج كما أننا نتوقع حدوث أي مفاجآت في أية لحظة، لولا رغبتي الشديدة في استعادتك ما كنت لأعرضك لذلك الخطر مطلقاً"

تمعنَّ أمير في صورة وجه مراد عن كثب وهو يراقب تلك النظرة التي تطل من عينيه وتشي بالكثير من القلق، ثم قال بصوتٍ مرتجف:

-"أي خطر!"

أطلق مراد زفرةً حارة قبل أن يجيبه:

-"إن نجح عقلك في التصدي لاختراقي له، وتدمير عالمك الذي تعيش فيه الآن قبل أن تنجح في استعادة وعيك والإفاقة من غيبوبتك، فسينتهي أي أملٍ في عودتك ثانيةً! والاحتمال الأقوى أنك.....ستموت!!!!!!!!!"

الفصل الخامس

على عكس المتوقع! لم تُثر كلمات مراد لأمير المزيد من الخوف في نفسه، بالرغم من حديثه عن ذلك الخطر المحدق الذي يقترب منه مع مرور كل ثانية دون أن ينجح في استعادة وعيه، بل واحتمال موته الذي يقترب منه كثيراً، بل أنه شعر بالاستسلام وربما الارتياح لذلك المصير، فما الجدوى من عودته إلى عالمه مشلولاً يراقب نظرات الشفقة على وجوه كل من حوله وتطارده ذكرياته مع فريدة إلى الأبد، قد يكون رحيله أفضل للجميع!

لكن ما يعتصر قلبه ويشغل عقله في تلك اللحظة كان شوقه الشديد لوالدته، فطلب من مراد رؤيتها والحديث معها لكنه أخبره باستحالة حدوث ذلك فهي لا تعلم شيئاً عما يجري، ولا يريد مراد إخبارها بشيء حتى لا تزداد حالتها سوءاً إن فشل في استعادته، يكفيها ما أصابها منذ الحادثة فقد اشتد عليها المرض كثيراً.

ضاعف حديث مراد عن أمه من حزن أمير، وبعد أن أنهى اتصاله معه قرر التجول في ذلك العالم قليلاً، فأغمض عينيه وتخيل نفسه يجلس على شاطئ البحر، اعتصر عقله في قوة حتى شعر بنسيم البحر يداعب خصلات شعره، فتح عينيه وجلس يتأمل زرقته الاصطناعية بابتسامةٍ باهته ترتسم على شفتيه وذلك السؤال يدور في عقله:

-"هل سيرى بحراً حقيقياً يوماً ما؟!"

لا يعلم لماذا وجد نفسه يخرج هاتفه من جيبه ويتصل بأسيل، التي جاءته صورتها الضاحكة كعادتها ترحب به في سرور، فقال لها بامتنان:

-" أريد أن أشكرك من كل قلبي لما فعلته من أجلي فلا أحد يعلم إن كانت ستسنح لي الفرصة لشكرك وجهاً لوجه أم ...."

قاطعته في انفعال:

-"ستعود يا أمير أنا واثقةٌ من ذلك، كل ما ينبغي عليك فعله الآن أن تشعر من داخلك برغبةٍ حقيقية في العودة إلى الحياة، عُد من أجل مراد فما فعله من أجلك يُعد معجزةً غير مسبوقة ستكون حديث العالم بأسره إن نجحت في العودة، عُد من أجل والدتك التي قد تدفع ما تبقى من عمرها كله مقابل رؤيتك"

ثم ازدردت ريقها في ارتباك قبل أن تقول في خفوت:

-"عُد من أجلي!"

حدَّق أمير في صورتها ليتحقق من تلك الدموع التي تلألأ في عينيها، ثم نظر إليها في إشفاق وهو يقول:

-" أنتِ لا تستحقين شخصٌ عاجز مثلي سيقضي ما تبقى من عمره على كرسي متحرك!"

سالت الدموع على وجنتيها وهي تجيبه في تأثر:

-"العجز الحقيقي يكمن في العقول! فكم من أصحاء للبدن لكنهم عاجزون حقاً! بقلوبهم القاسية وشرور أنفسهم التي لا يتوانون للحظة أن يطلقوها على غيرهم، أنا أعرفك جيداً منذ سنواتٍ يا أمير ولطالما كنت في نظري شخصٌ مثالي بمعنى الكلمة بأخلاقك الكريمة وعقلك الواعي، أنت تستحق الحياة!"

لم تكد تنهي عبارتها الأخيرة حتى انقطع الاتصال فجأة، وقف أمير مذهولاً ينظر إلى السماء التي انتشرت فيها البقع السوداء على نحوٍ مفزع، شعر بالدوار يسحق رأسه وتواثبت ضربات قلبه من فرط الخوف، حاول الاتصال بمراد لكن بلا جدوى، أغمض عينيه ليحاول العودة إلى منزله لكنه فشل في التغلب على حالة الفزع التي تجتاح كيانه فلم يستطع التركيز ليتخيل نفسه بداخل غرفته، وزاد من فزعه منظر البحر الهائج أمامه وتلك الأمواج بارتفاع الجبال التي تتقدم نحوه في سرعة هائلة، تجمد في مكانه وصرخ في هلع:

-"الوداع يا مراد!!!!"

نطق بها قبل أن تبتلعه الأمواج ويطحن الدوار رأسه، فيغرق في ظلامٍ دامس وهو يوقن بأنها النهاية!

****

صرخت أسيل في فزع وهي تراقب تلك العبارة المكتوبة على شاشة الحاسوب أمامها بعد ثواني معدودة من انقطاع اتصالها مع أمير:

-"الوداع يا مراد!!!!"
أدركت أنه دخل في مرحلةٍ حرجة قد لا يعود منها ثانيةً!

دلف مراد في فزع إلى الغرفة التي يرقد بها أمير بعد أن استدعته أسيل للقدوم على وجه السرعة، تسارعت أنفاسه وتعالت ضربات قلبه بعد علمه بما حدث، وأخذ ينظر إلى جسد أمير الممدد أمامه قبل أن تلمع عيناه في حزم ويخرج هاتفه ليتصل بدكتور نائل الذي شهق في فزعٍ بدوره وهو يستمع لعبارة مراد التي كان يخشى منذ البداية أن يسمعها:

-"سأذهب إليه!!"
****

فتح أمير عينيه ليجد نفسه في أرض ممتدة قاحله تحيط به بقعٌ سوداء عملاقه من كل صوب، بعضها في السماء وبعضها على الأرض وبداخلها دوامات هائلة يجذبه النظر إليها على نحوٍ عجيب، اعتدل واقفاً يتلفت حوله في ذهول وقد سيطر الخوف عليه تماماً وأدرك أنه على حافة النهاية، أخذ يركض بين البقع السوداء المنتشرة على الأرض المحيطة به حتى شعر بالإعياء الشديد، ثم توقف في استسلام وقال مغمغماً:

-"إلى أين ستذهب؟! لم يتبق سوى القليل وسيظلم كل شيءٍ إلى الأبد!"

ثم نظر إلى البقعة السوداء الملاصقة لقدمه وقرر أن ينهي الأمر بنفسه ويلقي بنفسه في داخلها، فوقف على حافتها وأغمض عينيه ثم استسلم لسقوطٍ حر في أعماقها الحالكة، لكنه شعر بشيءٍ يمسكه ويسحبه إلى الخلف فتح عينيه في ذهول وهو يرى صورة مهتزة تشبه الطيف على هيئة مراد، صاح في انفعال:

-"مراد!!! كيف ذلك؟!"
أجابه في حزم:

-" لا وقت للشرح الآن! لم أتكبد كل هذا العناء طيلة سنواتٍ كاملة لتستلم بتلك البساطة"

قال أمير في خجل:

-"لقد انتهى كل شيءٍ بالفعل، لا أدري ماذا أفعل؟!"

هدر مراد في غضب:

-"كُفَّ عن قول تلك الكلمة وإهدار ما تبقى من وقت! لن أستطيع المكوث هنا أكثر! أنت وحدك تعرف الإجابة عليك الخروج من هنا"

قالها واختفى تماماً من أمام أمير، الذي تضاعفت حيرته ورنت في أذنيه كلمات مراد:

-" عليك الخروج من هنا!"

أخذ نفساً عميقاً واستجمع كل قوته ورغبته في الخروج من ذلك المكان إلى الأبد، شعر بكل ذرةٍ في كيانه تتقد حماساً ثم أغمض عينيه في إصرار وبتركيزٍ بالغ تخيل نفسه يغادر ذلك العالم، لقد بدأت الصورة تزداد وضوحاً في عقله، تصاعد الأمل بداخله في النجاح بالخروج منه، لكنه شهق في فزع وقد شعر بأنه يهوي في فراغٍ عميق ليس له نهاية، حاول جاهداً فتح عينيه لكن بلا جدوى، وبعد محاولاتٍ عدة استطاع فتحهما في صعوبةٍ بالغة ليجد ضوء ساطع يضرب في عينيه على نحوٍ يمنعه من الرؤية تماماً، حاول جاهداً مقاومة الشعور بالذعر الذي ينتابه مع رؤية تلك الخيالات التي تتراقص أمام عينيه لا يقو على تحديد معالمها مع صوت الصرخات التي تخترق أذنيه، بدأت الصورة تتضح أمامه تدريجياً حتى أدرك أنهم بشر! يحيطون به من كل صوب يصرخون بلا توقف لا يفهم ما الذي يحدث؟! ثم اتسعت عيناه في ذهول عندما عرفها إنها أسيل! وبجوارها عدد من الأشخاص الذين لا يعرفهم، تتقافز أمامه كالمجنونة وهي تبكي وتضحك في آنٍ واحد قبل أن تخاطبه قائلةً:

-"حمداً لله على سلامتك! لقد فَعلتها!"

حدق فيها غير مصدقاً وقد بدأ يفهم! قال بصوتٍ مرتجف:

-"هل عُدت!"

ضحكت في سعادة وهي تجيبه:

-"نعم يا أمير! لقد عُدتَ أخيراً!"

سالت دمعه حارة من عينيه وهو يسألها:

-"أين مراد؟!"

ارتبكت قليلاً وهي تجيبه:

-"لقد أقدم على فعلٍ جنوني كعادته كاد يوقعه في ورطةٍ كبيرة لولا أن دكتور نائل تدخل في الوقت المناسب تماماً لاستعادته، عندما انقطع اتصالك معنا أدركنا أنك على وشك الذهاب بلا عودة، وهنا قرر مراد المجازفة بعمل أمرٍ خطير للغاية، كان قد رفض دكتور نائل قطعياً محاولة تجربته من قبل، أن يوصل دماغه بذات البرنامج المتصل بدماغك عبر واجهة دماغ أعدها خصيصاً لذلك تمكنه من ادماج وعيه مع البرنامج المخترق لعقلك، وبالتالي يصبح جزء منه ويستطيع التواصل معك من داخل عقلك أنت، لكن ذلك كاد يعرضه لخطرٍ جسيم، ففي حالة نجاح دماغك في مقاومة اختراق البرنامج وتدمير ذلك العالم الذي يخلقه بداخله، فلا أحد يستطيع العلم إلى أي مدى سيتأذى دماغ مراد جراء ذلك، لذلك لم يمهله دكتور نائل سوى دقائق معدودة بعدها قام بفصله عن البرنامج، هو الآن متعبٌ قليلاً لكن لا تقلق سيكون على ما يرام قريباً جداً"

لم تكد تنطق عبارتها الأخيرة حتى وجدوا مراد يدخل إلى الغرفة مستنداً على كتف أحد مساعديه الذي أخبره بعودة أمير فلم يستطع تمالك نفسه من الفرحة وقرر الذهاب إليه في الحال، وقف لبرهة يتأمل عينيه المفتوحتين وابتسامته التي اشتاق إليها كثيراً قبل أن يلقي بنفسه بين ذراعي شقيقه الأصغر، ويدخلا معاً في وصلةٍ من البكاء الحار في مشهد سالت له دموع كل المحيطين بهما خاصةً أسيل....

****

بعد مرور عام..

-"هل أنت مستعد يا أمير؟!"

قالها مراد في حماس وأجابه أمير بضحكةٍ واثقة:

-"على أتم الاستعداد وكلي ثقة في عبقريتك الفذة!"

أتبع عبارته بغمزة من عينيه لزوجته أسيل التي تقف خلف جدارٍ زجاجي بجوار والدته، تتابعان بلهفة نتيجة تلك التجربة التي عكف مراد على العمل عليها منذ أفاق أمير من غيبوبته بتطوير برنامجه ليجعله قادراً على تحويل الأوامر الصادرة من الدماغ إلى حركات فعليه يستطيع جسمه تنفيذها.

ابتسم مراد وهو يضغط أزرار حاسوبه في سرعة قبل أن ينظر إلى أمير قائلاً في حزم:

-"الآن!"

أجابه أمير بإيماءة من رأسه قبل أن يحاول الوقوف على قدميه، صرخت أسيل في سعادةٍ غامرة وهي تراه ينجح في الوقوف وحده ثم انهمرت دموعها وهي تراقبه يخطو الخطوة تلو الأخرى محاولاً الاتزان قبل أن يمشي عدة خطواتٍ بشكلٍ طبيعي تماماً!

احتضنه مراد وهو يعتصره بذراعيه من شدة الفرح، وأمير يهمس في أذنيه قائلاً بامتنانٍ شديد:

-"لا أعرف كيف أشكرك أنا مدينٌ بحياتي!"

ربت مراد على كتفه ونظر إليه مبتسماً وهو يقول:

-" شيء واحد فقط أريده منك...أريدك أن تحيا سعيداً!"

..تمت..